جنات وعيون

دراسات فى عمارة الحديقة الإسلامية

د. صفى الدين حامد

مكتبة السروات الدولية

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - فبراير ٢٠٠٩م

٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسي - القاهرة
تليفون وفاكس : ٢٤٥٠١٢٢٨ ـ ٢٤٥٠١٢٢٩ ـ ٢٢٥٦٥٩٣٩
المكتبة: ٢ شارع البورصة الجديدة - قصر النيل - القاهرة
تليفون وفاكس: ٢٣٩٣٨٠٧١ - ٢٣٩١٣٠٧٢
Email: <shoroukintl@hotmail.com>
<shoroukintl@yahoo.com>

جنات وعيون

دراسات فى عمارة الحديقة الإسلامية

د. صفى الدين عبد الحميد حامد

أستاذ عمارة البيئة بجامعة تكساس

لوبوك - تكساس

الولايات المتحدة الأمريكية

مكتبة الشروق الدولية

البرنامج الوطنى لدار الكتب المصرية
الفهرسة أثناء النشر
(بطاقة فهرسة)
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشئون الفنية)

حامد، صفى الدين عبد الحميد.
جنات وعيون: دراسات فى عمارة الحديقة الإسلامية.
صفى الدين عبد الحميد حامد.
ط١ ـ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩م.
١٢٨ص؛ ١٧ × ٢٤سم.
تدمك 9- 63 - 6278 - 977 - 978
١ ـ العمارة الإسلامية.
أ ـ العنوان. ٧٢٣,٣

رقم الإيداع ٤٥٥٨ / ٢٠٠٩م
الترقيم الدولى I.S.B.N. - 978- 977- 6278 - 63 - 9

٧- تساؤلات تاريخية

ما زال باحثو علم تاريخ الفنون الإسلامية حائرين أمام إمكانية الجزم بميعاد ومكان تأثير فكرة جنات الخلد، وكمثال يحتذى به فى تصميم الحدائق والبساتين الإسلامية، ومع هذا فمن الممكن القول إن بداية الاهتمام بإنشاء حدائق حول مقابر أمراء وملوك دولة الإسلام فى الأندلس كان أحد العوامل التى أضافت الأبعاد الدينية والروحية على ساحة الفكر وأمام الفنان المسلم عند تصميمه لهذه الحدائق.

ولذا يميل بعض المؤرخين للاعتقاد بأن بداية التأثير الروحى الواضح للقرآن والسنة على تصميم الحدائق بدأ فى أسبانيا، وبالذات بعد سقوط مدينة قرطبة فى أيدى الفرنج وانقسام الدولة الإسلامية فى الأندلس إلى دويلات صغيرة فى المدن الكبرى المعروفة، مثل غرناطة وطليطلة وأشبيلية.

وقد اعتاد الأمراء الأمويون أن يوصوا بدفن جثمانهم فى مقبرة داخل قصر الإمارة فى حديقة كانت تسمى تقليديًّا بالروضة، ومن الملحوظ أن شعوب دول شمال أفريقيا ما زالوا حتى يومنا هذا يسمون المقبرة «الروضة»، ويعتقد الكثيرون أن عادة دفن الأمراء داخل قصورهم سادت فى ذلك العصر تيمنًا واقتداءً بدفن الرسول ﷺ فى صحن داره بالمدينة المنورة، والتى يطلق عليها عامة المسلمين «الروضة الشريفة» إلى الآن.

ومن الأمثلة المعروفة بالأندلس هى روضة قبر الوزير أبى مروان الزحالى الذى أمر فى وصيته بوقف حديقته كجزء من الأوقاف الإسلامية بعد دفنه بها وإقامة ضريح له فيها، كما أوصى بدفن صديقه الشاعر ابن شهيد تعبيرًا عن صحبتهما فى الحياة والممات.

وقد كتب ابن شهيد وصفًا دقيقًا وشاعريًّا عن هذه الحديقة وما تحمله من رموز ومعانٍ له ولصديق عمره أبى مروان الزحالى.

ويجب الإشارة إلى أن بعض علماء تاريخ الفنون من أمثال «دى. فيرتشيلد رجلز - D.Fairchild Ruggles» يعتقد أن فكرة استيحاء الفردوس المنشود من خلال التصوير القرآنى فى تصميم حدائق الأندلس لم يتم تطبيقها حتى القرن العاشر، وفى رأيها أن الحدائق فى القرن الثامن والتاسع كانت حدائق دنيوية للترويح والمتعة فى الاحتفالات العامة، وليس للتأمل والتفكر فى اليوم الآخر وجنات الميعاد التى أعدت للمتقين، كما تعتقد أيضًا أن

سابقة ضم المدافن والأضرحة هى التى جلبت البعد الروحى والدينى إلى حدائق المسلمين فى الأندلس بعد أن كانت حدائق قصور للمتعة الدنيوية للملوك والأمراء.

وعمومًا فسيظل الجدل دائرًا بين الباحثين فى حقل الحديقة الإسلامية وتاريخ تطورها، خاصة فيما إذا ارتبطت الاستعارة الفنية والإبداع الرمزى لحدائق المسلمين فى الأندلس وما تذخر به آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ من تصوير لجنات الخلد فى الدار الآخرة أم أن هذا التأثير قد ظهر بعد حقبة معينة من الزمن وبالتحديد مع بداية القرن العاشر. ولا شك أنه من الصعب أن نجزم برأى محدد أو قول فاصل فى هذه المسألة خاصة وأن اللفظ المستعمل فى كثير من أدبيات اللغة العربية وهو «جنة» ومن الصحيح استعماله لفردوس الآخرة أو حدائق الأرض.

وعمومًا فإنه من النادر فى الأزمنة السابقة أو حتى فى عصرنا هذا أن يدون المصمم أو الفنان خطوات صنع القرار أو المؤثرات التى دعته للإقدام على تشكيل فنى بصورة أو بأخرى.

وسواء فهمنا دوافع الفنان والمصمم فى يوم من الأيام أم لم نفهم فستظل ذكريات الحديقة الإسلامية فى القلوب والأرواح كومضات من الجمال الشاعرى وكمكان للاستجمام الهادئ والتأمل المستغرق، حيث يستمتع المرء فيه بنسمات الأمسيات العطرة وخرير المياة الناعمة وتغريد الطيور المحلقة ومشاهد الأشجار وألوان الزهور، ولكن أولًا وأخيرًا فستبقى الحديقة الإسلامية مصدرًا لتأملات العابد فى إبداعات الخالق، ومنبعًا لإلهام الفنان، وواحة لسكينة الإنسان على مر العصور وفى شتى أقاليم المعمورة.